18me ; annéeNo 911

Le Caire - 18 — 12 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٣٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ — ١٨ ديسمبر سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

كيف نحتفى بذكرى مولد الرسول ؟

للاستاذ محمود أبورية

ماذا أقول فى وصف هذا المصلح الأعظم لهذا الكون العظيم؟

إن كبار الأدباء ، ومصاقع الخطباء ، وفحول الشعراء ، ليتولاهم العجز ، ويدركهم الحصر ، إذا هم أخذوا فى وصف زعيم من الزعماء ، أو عظيم من العظماء ، على أن يكون هذا العظيم لأمة واحدة ، وفى عصر واحد ، وفى ناحية من العظمة بخصوصها ، إما فى العلم ، أو فى الأدب ، أو فى السياسة ، أو فى غير ذلك ، والأمم كثيرة ، والعصور متطاولة ، ونواحى العظمة فسيحة مترامية ! فما بالكم إذا كان الكلام فى عظيم الدهر ومصلح العالم كله ، فى الدين والأدب والسياسة والأخلاق والفضائل ، وما شئت من صفات الكمال البشرى

كنت أود أن أكون شاعراً مفلقاً واسع الخيال فأحلكم على أجنحة خيالى إلى عرش البهاء الروحانى لذات الرسول صلوات الله عليه لتستغرقوا فيه لحظة ، أو كاتباً بليغاً سرهف الحس فأنقلكم ببلاغته إلى روض البيان الوشى بالأزاهر والأنوار ليتنفس عليكم هنيهة بالعبق والأريج من صفاته (ص)

كنت أود ذلك ولكن ماذا أصنع وقد بهرنى سمو مقامه (ص) فلم أستطع أن أقول فيه قولا يبلغ بى ما أريد ، ذلك بأن كل قول مهما سما فى البلاغة وعلا فى البيان ، لا يمكن أن يبلغ من وصفه شيئاً . وهل يستطاع وصف من بعثه الله ليكون نور الوجود كله على مد العصور كلها ! ذلك الذى قال فيه أستاذنا الإمام محمد عبده فيما وصفه به : « أى قام يدعو الكاتبين إلى فهم ما يكتبون ويقرأون ، بعيد عن مدارس العلم صاح بالعلماء ليحصوا ما كانوا يعلمون ، فى ناحية عن ينابيع العرفان جاء يرشد الفقراء ، ناشئ بين الواهمين هب لتقويم عوج الحكماء ، غريب فى أقرب الشعوب إلى سذاجة الطبيعة وأبعدها عن فهم نظام الخليقة ، والنظار فى سننه البديعة ، أخذ يقرر للعالم أجمع : أصول الشريعة ويخط للسعادة طرقاً لن يهلك سالكها ولن يخلص تاركها »

لما أدركتنى الحيرة رأيت أن أرجع إلى غيرى ممن هم أصدق منى بياناً ، وأقوى على القول سلطاناً ، لأستمير منهم ذروراً مما قالوا فى هادى الإنسانية كلها . ولا عاب فى ذلك (فالعاطل) تستعير ! ! فالتمست طلبتى عند البلغاء من المتقدمين والمتأخرين فوجدتهم جميعاً

على رائع ما قالوا ، وبديع ما وصفوا لم يبلغوا شيئاً من وصف حقيقته ، أللهم إلا أبياتاً للبوصيرى رحمه الله وها هى ذى :

كيف ترقى رقيك الأنبيـــاء
يا سمـــاء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سنى (١) منك دونهم وسناء (٢)
إنما مثلوا صفاتك للنا
س كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما قص
در إلا عن ضوئك الأضواء

وحقا لقد صدق الشاعر فى قوله :

ما كلام الأنام فى الشمس إلا
أنها الشمس ليس فيها كلام

ولما بلغ بى الأمر إلى ذلك استخرت الله فى أن أتخطى عصرنا هذا إلى العصور الماضية — وبخاصة بعد أن ألفيت أن كل مايقال فى عصرنا متشابه حتى أصبح حديثاً معادا — فأغذذت السير فى بيداء الزمن حتى وافيت عصر الصحابة وهم الذين سعدت أبصارهم بشهود حضرته ، واستنارت بصائرهم بساطع حجته ، ثم عدت مع الزمن إلى عصور من أتوا بعدهم من التابعين ومن تبعهم رضوان الله عليهم أجمعين لعلى أقبس من سنى أنوارهم فى مولده (صلوات الله عليه) قبساً أنير به هذه الذكرى لتصح المناسبة ، وكذلك حاولت أن أبحث عن صنف الحلاوة التى كانت تصنع فى أيامهم فى ذكرى المولد الكريم. وبعد أن أمعنت فى البحث . وبالغت فى التنقيب ظهر لى أمر غريب ربما تدهشون له

ذلك أنى لم أجد من صحابة النبى وخلفائه الراشدين ولا من التابعين ومن تبعهم وهم بنص الحديث خير القرون قولا يقال فى حفل يقام لمولده (ص) فى شهر ربيع الأول من أى عام !!

ولما استنبأت التاريخ عن أول من احتفل بمولده (ص) أخبرنى أن الذى ابتدع هذا الاحتفال هو السلطان المظفر أبو سعيد صاحب إربل (١) الذى تولى الحكم من سنة ٥٨٦ هـ إلى سنة ٦٣٠ هـ وبذلك يكون هذا الاحتفال قد ابتدع بعد نحو ستة قرون من مولده (ص) ولأن هذا العمل محدث فقد اختلف فيه شيوخ الدين ولهم آراء كثيرة فى الإباحة والمنع لا نتوسع بإيرادها

لعلكم تعجبون من أن ينقضى عهد الصحابة وفيهم الخلفاء الراشدون ثم يتولى عصر السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بفضله والتنويه بذكره ولا يقام للنبى (ص) احتفال بمولده ! ثم يظل الأمر على ذلك قرابة ستمئة سنة حتى يأتى رجل تركمانى فيحتفل به ويقوم بعمل لم يعمله !

ولم يقف الأمر بالصحابة عند ذلك بل رأيناهم قد أهملوا غير هذا أمراً عظيما ، ذلك أن النصارى قد جعلوا مولد عيسى عليه السلام مبدأ لتاريخهم ولكن تاريخنا لم يكن من مولده (ص) وإنما جعل من هجرته ٢ فهل كانت عناية المسيحيين بنبيهم أشد وأقوى من عنايتنا برسولنا ؟

وهناك أمر ثالث عثرنا عليه فى بحثنا ؛ ذلك أنه لما انتقل النبى

١ ـ الى الضوء ٢ ـ السناء الرفعة

١ ـ من البلاد التابعة لولاية الموصل

٢ ـ كان ذلك فى خلافة عمر سنة ١٦ هـ وكان عمر قد استشار الصحابة فى أن يجعلوا مبدأ التاريخ يوم مولد النبى أو يوم وفاته ثم انعقد إجماعهم على أن يكون مبدأ التاريخ من يوم هجرته « س »

يصدر فى أول يناير سنة ١٩٥١
عدد الرسالة
السنوى الممتاز
بمناسبة الذكرى العظيمة
لمولد الرسول

إلى الرفيق الأعلى دفنوه حيث قبض ولم يشيدوا على رفاته قبراً مخصصاً ولا أقاموا على القبر قبة عالية مزخرفة ولا وضعوا عليه استاراً من حرير أو أقفاصاً من نحاس أو حديد كما يوضع لقبور الأولياء. وظل الأمر على ذلك حتى جاء بعض ملوك [١] مصر فأقام عليه قبة وكان ذلك على ما يحدثنا التاريخ سنة ٦٧٨ هـ أي بعد سبعة قرون من موته (ص)

هذا ما أنبأنا به التاريخ من عمل الصحابة، لا يعنون بتشييد قبره (ص) ولا يحتفلون باليوم الذي بزغت فيه شمس نوره، ولا يؤرخون بيوم مولده! فهل بعد ذلك منهم إهمالا وتقصيراً في حقه وما يجب له صلوات الله عليه؟؟

كيف كانوا يحتفلون به؟

كلا! وما كان لنا أن نرميهم بالإهمال أو نحكم عليهم بالتقصير فليس في المسلمين أحد على مد التاريخ الإسلامي كله يعرف من قدره (ص) مثل ما يعرف صحابته ولا من جاء بعدهم وإنما كان احتفالهم به (ص) احتفالا أروع من احتفالنا، واحتفاؤهم بذكراه أجل وأوفى من احتفائنا

إن احتفالنا بمولده الشريف واحتفاءنا بذكراه إنما يكون في كل عام مرة! فينظم الشعراء في وصفه فرائد الشعر، وينسج الخطباء لمدحه برود النثر، وتزين الأماكن بالتحريات وترفع عليها الرايات. هذا كل ما نصنعه!. ولكن وا أسفاه! لم يكد يفرغ الشعراء والخطباء من قولهم حتى يكون الهواء قد حمل كل ما يقولون فبدده بين أمواجه. وقبل أن تغادر الحفل تطوى الأعلام وتطفأ الأنوار وتحمل المقاعد إلى حيث أتت ولا يبقى من كل ما عمل شيء! لا أثر في النفوس! ولا ذكرى في القلوب!

أما هم فقد كان احتفاؤهم به وإجلالهم له يتجلى باهراً لا في كل عام، ولا في كل شهر، ولا في كل يوم، بل في كل لحظة. فهم معه أينما ساروا وكيفما توجهوا، يتبعونه في كل طريق إلى الخير، ويستضيئون بنوره في كل عمل صالح.

كيف نحتفي بذكرى مولده (ص)

لقد عرف السلف الصالح من تعاليمه (ص) أن أهم شيء يرضيه هو أن يحملوا رسالته ليؤدوها كما يجب أن تؤدى، فجعلوا أول همهم إصلاح نفوسهم وتأديبها بالأدب الإلهي حتى يصبح هذا الأدب ملكة راسخة تعصم صاحبها ثم تعتصم مع غيرها بحبل الله لحمل أعباء الرسالة والقيام بما جاءت به وهي إصلاح المجتمع الإنساني كله، في أخلاقه وآدابه ومعيشته فلا يكون بين الناس إلا أدب القرآن وإلا هدى القرآن، ذلك بأن دين الإسلام ليس دين شخصيات، ولا مبادئه بأقوال وكلمات. وإنما هو دين أخلاق وأعمال

دعوة الحق

علموا أن المسلم بحكم دينه يجب أن يكون عزيزاً قويا والعزة لا تكون إلا بقوة وغلبة وشوكة فنهضوا نهضة الأسود يحملون النور في إحدى أيديهم ليشقوا به ظلمات الجهالة ويهدون بالحكمة والموعظة الحسنة إلى الطريق المستقيم في هذه الحياة، ويحملون السيف في اليد الأخرى لا ليعتدوا ولكن ليذودوا به عن حوض الحق حتى لا يعتدى عليه باغ أو ظالم وكانوا لا يهابون شيئاً في جهادهم ليقينهم أن الله ناصرهم — كما قال تعالى «إنما ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا» وقال: «ولينصرن الله من ينصره» وقال: «وكان حقا علينا نصر المؤمنين»

بماذا بلغوا مكانة السيادة؟

وعلموا أنهم خلقوا سادة عادلين فكانوا كذلك يراعون الفضائل، من الحق والعدل والأمانة والصدق والرحمة والمحبة والعفة والمواساة والبر والإحسان والوفاء بالعهود والعقود واجتناب الرذائل من الظلم والغدر والكذب والخيانة والغش وأكل أموال الناس بالباطل والرشوة والسحت وغير ذلك مما يطول القول فيه

كانوا يعرفون أن شريعتهم عمود الإصلاح وقطب الفلاح ومرقاة السيادة فكانوا لا يفتأون يعملون لرفع شأنها وإعلاء كلمتها، وبذلك كانوا كما وصفهم الله «كنتم خير أمة أخرجت للناس» وكانوا يستأهلون ما نعتهم الله به في قوله، «وكذلك

---

١ — الذي بنى القبة هو للاوون الصالحي المعروف بالملك المنصور في سنة ٦٧٨ هـ ذكره في تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة

جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » والشاهد لابد أن يكون عدلا صالحاً

حالنا اليوم ! !

هذه كانت حالهم وما كانوا يهتمون به ويعملون له ؛ أما ماعدا ذلك من الأمور العرضية التي لا تنفع الناس فما كانوا يلتفتون إليها ولا يعنون بها لأنهم كانوا أهل عمل وجد، لا أصحاب كلام باللسان وتصفيق باليد ! ! — كما هي حالنا اليوم ، تلك الحال التي دعت إمام الشعراء شوقي بك رحمه الله إلى أن يناجي رسول الله بقوله في مطلع هذا العصر :

أدرى رســـول الله أن نفوسهم
ركبت هواها والقلوب هواء
متفككون فما تضم نفوسهم
ثقة ولا جمع القلوب صفاء
رقدوا وغرهمو نعيم باطـــل
ونعيم قوم في القيود بلاء
أقعدتهم غرر البلاد فضيعوا
وغدوا وهم في أرضهم غرباء
ظلموا شريعتك التي نلنا بها
مالم ينل في رومة الفقهـاء

وقال كذلك يناجي الرسول (ص)

شـــوبك في شرق البلاد وغربها
كأصحاب كهف في عميق سبات
بأيمانهم نوران — ذكر وســـنة
فما بالهم في حالك الظلمات
وذلك ماضي مجدهم وفخارهم
فما ضرهم لو يعملون لآت
وهـذا زمان أرضـه وسماؤه
مجـال لمقـــدام كبير حياة
فقل رب وفق في العظـائم أمتي
وزين لها الأفعـال والعزمات

كيف يكون التكريم للعظيم ؟

إن التعظيم الحقيق للرسول أو المصلح أو الزعيم إنما يكون بطاعته والنصح له والنهوض بالأعمال التي يقوم بها أمره وكذلك كان تعظيم الصدر الأول لرسولهم ؛ عمل وجهاد ونصح وكفاح. فالذي علينا أن لا نجعل همنا الأول من احتفالنا هو هذه المصابيح التي تنير الحفلات ثم تنطفئ قبل انفضاضها وإلقاء الأقوال التي تذهب في الهواء بعد إلقائها ، ورفع الأعلام التي تطوى قبل انطواء ليلها، وإنما يجب علينا أن نجعل من يوم مولده السعيد في كل عام موسماً لعمل نافع يعود على البلاد بالخير والرفعة والسعادة فتفتتح فيه معاهد للعلم أو مصحات للمرضى أو مصانع للعمل أو مبرات للرحمة ، أو ننشر في البر فصائل من الدبابات أو نرسل إلى الجو أسراباً من الطائرات أو ننزل إلى البحر أساطيل من المدمرات أو الطرادات أو الغواصات ، أو ما إلى ذلك مما يؤدي إلى العزة والقوة ويسمو بالأمم إلى مراقي السؤدد والمجد ، وهذا كله وسواه مما يدعو الإسلام إليه ويحث عليه وبذلك نصبح صالحين حقا لوراثة الأرض واستعمار الدنيا ونحقق فينا قول الله تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون » والصالحون هنا هم الصالحون لعمارة الأرض وامتلاك ناحيتها

الإسلام قول وعمل

إن الإسلام قول وعمل ، عقائد وعبادات ، آداب وكفاح فلا يكفي المسلم أن يظهر إسلامه أو يؤدي فروضه كما تمثل الأمور الروائية ولكن المسلم من احتمل تكاليف الدين وتكيف بهديه — على التعبير الجديد — وتربى عنده ملكة دينه تصدر عنها أقواله وأعماله ينظر بها ويسمع بها ويمشي بها ، ومن كان كذلك فإنه لا ريب يكون قد هدى إلى الصراط المستقيم وكان مع النبي (ص) في كل حين

كلمة عتابية

لا زلت أجأر بالدعوة فأقول : إن الكلام لا يفيد وإن الإسلام قائم على العمل « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله »